

قسم العربية، جامعة كاليكوت، كيرالا

ISSN 2278-764X

مجلة كاليكوت

KALIKOOT

المجلد الثاني عشر - العدد الثالث: سبتمبر - ديسمبر ٢٠٢٢

١٨ البيوعام البيوعام البيوعام



انعكاس الإيديولوجية وصراعها في ثلاثية القاهرة لنجيب محفوظ

عبد المتين وسيم الدين، الباحث بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عالية، كولكاتا، الهند؛ والأستاذ المساعد بكلية الشهادات العامة الحكومية للبنات التابعة لجامعة كلكتة، الهند

المدخل:

والسياسة، أما الجزء الثاني قصر الشوق فهو ميدان الشك والتردد والحيرة بكل القيم والحقائق بالعلم والإيمان والحب والأب. وأما الجزء الثالث السكرية فهو الانتماء والوعي للقيم والمبادئ، والأفكار هو شعارها.

الكلمات المفتاحية:

نجيب محفوظ، وثلاثية القاهرة، والإيديولوجية، والمجتمع، والانتماء الإيديولوجي، والخلاف الإيديولوجي، والصراع الفكري، والدين وأتباعه، والشيعوية، وجماعة الإخوان المسلمين، والاتجاهات والأفكار، والعلم والإيمان.

نبذة عن الروائي:

أ - حياته: هو نجيب محفوظ روائي وكاتب مصري، وأول أديب عربي نال جائزة نوبل في الأدب. وُلد ونشأ في حي الحسين عام ١٩١١، وتلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة الحسينية بالقاهرة ثم أتم مرحلته الثانوية في مدرسة فؤاد الأول الثانوية، وحصل على ليسانس الآداب من قسم الفلسفة عام ١٩٣٤، وكان هو الأصغر لستة أشقاء. وعمل معظم حياته بالوظائف

الإيديولوجية هي ملمح فكري وميدان رحب للبحث في الدراسات الأدبية، ويسع معظم مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والنفسية والتربوية والاقتصادية والإعلامية، وعقيدة تتصل بقيم ثقافية واجتماعية وسياسية، ولا تتكون بقرار ولا تأتي من العدم، وإنما هي ضرب من الولادة عبر عملية تاريخية معقدة. وعلاقتها بالعمل الأدبي الروائي علاقة وثيقة، فهي الجزء الرئيس في خلق تناقضات الرواية. فالكاتب لا يكتب من فراغ، بل كتابته جزء من إيديولوجيته وثقافته، ومضمونه مستمد من بيئته ومحيطه. وكانت علاقة نجيب محفوظ بمصر وطيدة، فنجدته في معظم أعماله يناجها ويستمتع إلى نبضها، فرواياته انعكاس واضح لتاريخ وأماكن وحوادث مصر. وأما ثلاثية القاهرة فهي عمل روائي ضخم يمثل واقع الشعب المصري عبر ثلاثة أجيال، ويبرز ثلاثة أطوار فكرية تمثل المجتمع المصري، فالجزء الأول بين القصرين يمثل حقيقة الإيمان بالأشياء والاستسلام لها في ميدان الدين

الحوار. ومن السمات البارزة التي اتسم بها أنه كانت علاقته بمصر وطيدة، فهو يناجها في معظم أعماله كاسرا الحواجز بينها وبين أدبه فهو يستمع إلى نبض مصر في تاريخها وواقعها، ولا يضع حاجزا بينها وبين أدبه. فأعماله انعكاس واضح لتاريخ وأماكن وحوادث مصر.^٤

ب - مسيرته الروائية: وقد مر بمراحل عديدة في مسيرته الروائية. فمرحلته الأولى هي التاريخية ويتأثر فيها باحتلال بريطانيا لمصر فيكتب عبث الأقدار عام ١٩٣٩، وفي خضم الحرب العالمية الثانية ينشئ رادوبيس عام ١٩٤٣ وكفاح طيبة عام ١٩٤٤، وكل هذه أعمال تاريخية تحمل في ثناياها الروح الفرعونية.^٥ ومرحلته الثانية هي الاجتماعية، ويتحول من التاريخية إليها ليتوغل في تصوير المجتمع المصري وتحوله الاجتماعي بمشكلاته وهمومه، ويبدأ بالقاهرة الجديدة عام ١٩٤٥ ثم ينشئ خان الخليلي عام ١٩٤٦ ثم زقاق المدق عام ١٩٤٧ ثم يتبعها من رؤية نقدية وذاتية لمجتمعها بالسراب عام ١٩٤٨ ثم بداية ونهاية عام ١٩٤٩، ثم يختم هذه المرحلة بإنتاج عمل ضخم يمثل واقع الشعب المصري يعرف بثلاثية القاهرة التي نحن بصدد دراستها من حيث الرؤية الاجتماعية والتحول الاجتماعي.

الحكومية بدءا بالجامعة المصرية فوزارة الأوقاف ثم مصلحة الفنون ثم مؤسسة السينما ورئيسا لمجلس الإدارة وفي الأخير عضوا في جريدة الأهرام. وأحيل على المعاش سنة ١٩٧١ بموقع مستشار وزارة الثقافة لشؤون السينما. وعمر طويلا وتوفي عام ١٩٦٠. وقد نال أول جائزة أدبية على مستوى الدولة عام ١٩٤٠ جائزة قوت القلب الدمرداشية، ثم جائزة مجمع اللغة العربية عام ١٩٤٣، ونال يوم الخميس ١٣ أكتوبر عام ١٩٨٨ جائزة نوبل للآداب التي منحتها شهرة واسعة في أرجاء العالم.^٦

وكان باحثا عن الله، وهذا ما دعاه إلى دخول قسم الفلسفة ساعيا وراء أفكاره مما أدى إلى صرف نظره عن حياة الشباب ومستلزماتها، فلم يتزوج حتى بلغ سن الثالثة والأربعين. ولكنه أثناء إعداده لرسالة الماجستير حول فلسفة الجمال مر بأزمة إبداعية إذ وجد نفسه في صراع ما بين الفلسفة والأدب فقرر أن ينتصر للأدب على حساب الفلسفة.^٧ وكتب في مجال القصة، وكان حريصا منذ لحظاته الأولى على الكتابة بالعربية الفصحى في جل أعماله، فعد من أوائل الداعين إلى عدم الفصل بين واقعية الرواية وفصاحة

^١ رجاء النقاش، صفحات مذكرات نجيب محفوظ، ص ١٢؛ حسين عيد، نجيب محفوظ سيرة ذاتية وأدبية، ص ٧؛ رجاء النقاش، في حب نجيب محفوظ، ص ٢١

^٢ رجاء النقاش، صفحات من مذكرات نجيب محفوظ، ص ١٤٩

^٣ رجاء النقاش، في حب نجيب محفوظ، ص ٢٥؛ علي شلق، نجيب محفوظ في مجهوله المعلوم، ص ٤٧

^٤ حسن درويش، الاتجاه التعبيري في روايات نجيب محفوظ، ص ١٨؛ محمود فوزي، نجيب زعيم الحرافيش، ص ١٢؛ فاروق شوشة، حوار مع نجيب محفوظ، مجلة الآداب، بيروت، عام ١٩٦٠، العدد الثالث، ص ١٨

^٥ حسن درويش، الاتجاه التعبيري في روايات نجيب محفوظ، ص ٤٧

العدو الصهيوني، فنأدى بإمكانية عقد السلام مع العدو على أساس اغتنام الوقت للتنمية وهو يشعر بالفرق الهائل في المستوى الحضاري والتكنولوجيا بين العرب والصهاينة.^٤

وهو كاتب واقعي اجتماعي كبير، لكنه لم يتطرق إلى الكثير من القضايا الخاصة التي شغلت العرب كلهم، فلم نجد له عملاً يتحدث فيه عن الأعمال السياسية المهمة في بلاده مصر وجوارها مثل تأميم للقناة أو حرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٧٣ وما تبعها من أحداث مؤلمة دكت العالم العربي والإسلامي باحتلال فلسطين. ولعل سبب ابتعاده عنها - ولو جل أعماله الروائية تقترب من الفهم الدقيق للواقع السياسي - يرجع إلى أنه حدد لنفسه دائرة الحركة ضمن الطبقة الوسطى، فهتم برصد الواقع الاجتماعي والظواهر الاجتماعية والإنسان، ومن خلال هذا الرصد يقدر الغوص في بني المجتمع ويستطيع التعبير عن مشاعره ومواقفه.

ثلاثية القاهرة ومحتوياته:

ثلاثية القاهرة هي عمل روائي ضخم يمثل واقع الشعب المصري عبر ثلاثة أجيال، وقد ختم بها الكاتب مرحلته الاجتماعية. وهي مكونة من ثلاث روايات، وهي: بين القصرين (١٩٥٦)، وقصر الشوق (١٩٥٧)، والسكرية (١٩٥٧). وتعتبر أفضل رواية عربية حسب اتحاد كتاب العرب،

وقد ركز اهتمامه فيها على الطبقة الوسطى وهي أكثر الطبقات معاناة في مصر.^١ ومرحلته الثالثة هي الواقعية الفلسفية، تبدأ بأولاد حارتنا عام ١٩٥٩ وتمثل الجانب الفلسفي الميتافيزيقي ثم اللص والكلاب عام ١٩٦١، والسمان والخريف عام ١٩٦٢، والطريق عام ١٩٦٤، والشحاذ عام ١٩٦٥، وثرثرة فوق النيل عام ١٩٦٦، وميرامار عام ١٩٦٧.

ج - فكره وفلسفته: وكان بالرغم من ارتباطه الوثيق بمصر لم تكن له علاقة مباشرة بالسياسة فيما عدا حبه الفطري لحزب الوفد.^٢ وكان متميزاً بقدرته الفائقة على اختزان الماضي واستعادته بشكل فني مثير، وكان شمولياً ومتنوعاً في قراءاته وثقافته. وكانت له علاقات حميمة مع أدباء عصره فقد قابل توفيق الحكيم واستمرت علاقتهما حتى وفاة الحكيم، والتقى بالمازني وأخذ منه نصائح حول زقاق المدق، وكان له علاقة حميمة مع يحيى حقي أيضاً.^٣

وكان له موقف متشدد تجاه الحركات الإسلامية خاصة حركة الإخوان المسلمين، فقد نظر إليهم على أنهم مصدر العنف والتزمم الديني، وعبر عن ارتياحه الكبير مما قام به جمال عبد الناصر في أثناء تصفيتهم عقب حادثة المنشية في مصر. وكان له موقف من عملية السلام مع

^١ حسن درويش، الاتجاه التعبيري في روايات نجيب محفوظ، ص ٥١

^٢ رجاء النقاش، صفحات من مذكرات نجيب محفوظ، ص ١٢٨

^٣ رجاء النقاش، صفحات من مذكرات نجيب محفوظ، ص ٧١

^٤ رجاء النقاش، صفحات من مذكرات نجيب محفوظ، ص ١٩٥ - ١٩٧

الجيل الثالث للأسرة، ويريد به الجيل المصري الجديد، يعتمد على نفسه.^١

انعكاس الإيديولوجيات المتنوعة:

الإيديولوجية هي من الملامح الفكرية التي تعد ميدانا رحبا للبحث في الدراسات الأدبية، وهي من أوسعها تداخلا مع معظم مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والنفسية والتربوية والاقتصادية والإعلامية. وهي مجموعة التصورات التي تعبر عن مواقف محددة تجاه الإنسان والعالم، وهي العقيدة التي تتصل بقيم ثقافية واجتماعية وسياسية.^٢ وهي لا تتكون بقرار ولا تأتي من العدم، إنما هي ضرب من الولادة عبر عملية تاريخية معقدة. وتتميز بأنها نسق للتصور عن العالم، فعلاقتها بالعمل الأدبي الروائي علاقة وثيقة. والمنظور الإيديولوجي هو الجزء الرئيس في خلق تناقضات الرواية. والكاتب لا يكتب من فراغ، بل كتابته جزء من ثقافته وشخصيته وفكره، ومضمون النص مستمد بطبيعة الحال من بيئة الروائي ومحيطه بما يتخللها من إيديولوجيات مسيطرة. أما ثلاثية القاهرة فهي تظهر وتبرز ثلاثة أطوار فكرية تمثل المجتمع، فالجزء الأول رواية بين القصرين تمثل حقيقة الإيمان بالأشياء والاستسلام لها في ميدان الدين والسياسة والأب

وأخذت أسماءها الثلاث من أسماء شوارع حقيقية بالقاهرة القديمة التي شهدت نشأة وترعرع نجيب محفوظ.

وثلاثية نجيب محفوظ هذه كباقي الثلاثيات يمكن أن يقرأ كل جزء منها على حدة، فجزؤها الأول بين القصرين يعرض الكاتب فيه جانبا من حياة الجيل الأول لعائلة السيد أحمد عبد الجواد في حي شعبي من أحياء القاهرة ويبرز الجو العام للأسرة ويركز على بناء نماذج بشرية متنوعة وما يرافقها من حدث ثورة يوليو ١٩١٩ بالإضافة إلى الحال الاجتماعية لأبناء الشعب من انحلال خلقي وميل للهوى وطغيان الهم الاجتماعي.

أما الجزء الثاني للثلاثية هو قصر الشوق، ويصور الكاتب فيه حياة الأسرة يعني أسرة السيد أحمد عبد الجواد في منطقة الحسين بعد وفاة ابنه فهي وأحداث ثورة ١٩١٩ ويعرض ما يحمله هذا الجيل الأوسط من تراكمات الماضي وما يعتره من تناقضات وملامح نفسية ومحاولات للتخلص من سلطة الأب.

وجزؤها الثالث والنهائي هو السكرية، ويحكي نجيب محفوظ فيه عن الجيل الثالث لأسرة السيد أحمد عبد الجواد ما بعد الثورة ويعرض حارة السكرية وأوضاعها وأحوالها، ويبرز أن هذا

^١ محمد عزام، فضاء النص الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع - اللاذقية،

الطبعة الأولى، عام ١٩٩٦، ص ٦١

^٢ محمد عزام، فضاء النص الروائي، ص ١٤٧

ونرى شخصية مهمة جدا وهي شخصية أحمد في السكرية، وتبدو من خلاله وحواره إيديولوجية الشيوعية. كما يقول: "تعاليم الإسلام تستند إلى ميتافيزيقية أسطورية تلعب فيها الملائكة دورا خطيرا، لا ينبغي أن نبحث عن حلول لمشكلاتنا حاضرا في الماضي البعيد. الإخوان يصطنعون عملية تزيف هائلة، فهم حيال المثقفين يقدمون الإسلام في ثوب عصري، وهم حيال البسطاء يتحدثون عن الجنة والنار".^٢ وتبدو أيضا أن الشيوعية تعتمد العلم أساسا للحياة على حساب الدين والعقيدة، ويتضح هذا بهذه العبارة: "الدين ملك الناس أما الله فلا علم لنا به.. نعم الإيمان بالعلم به وجاهته.. العلم لغة العقول.. العلم يجمع البشر في نور أفكاره".^٤ وفي موضع: "الشيوعية علم، أما الدين فأسطورة".^٥

انعكاس الصراع الإيديولوجي والفكري:
ينعكس فيها الخلاف الإيديولوجي والصراع الفكري بين جماعة الإخوان المسلمين والشيوعية، ويظهر هذا الخلاف جليا على لسان كل من أحمد وعبد المنعم، وهما الشخصيتان الهامتان في السكرية الجزء الثالث للثلاثية. ونجد الخلاف يقوم بينهما منذ البداية. وتبدو إيديولوجية كل منهما والصراع بين منظورهما الإيديولوجي من خلال العرض، فحركة الإخوان

السيد أحمد عبد الجواد، فهو إيمان مطلق بالله، ثم ولاء وأتباع لسعد زغلول ورفقائه، وطاعة عمياء للسيد أحمد عبد الجواد. أما الجزء الثاني قصر الشوق فهي ميدان الشك والتردد والحيرة بكل القيم والحقائق بالعلم والإيمان والحب والأب. وأما الجزء الثالث السكرية فهي الانتماء والوعي للقيم والمبادئ، والأفكار هو شعارها.^١

وثلاثية القاهرة هي عمل فني بالدرجة الأولى تصور المجتمع المصري بكل تجلياته الثقافية والفنية والسياسية والأدبية، ولا بد من إدخال هذا الجانب الإيديولوجي المهم في النص الروائي، لأنها جزء من ثقافة المجتمع. ونجد فيها تظهر بعض التوجهات الإيديولوجية بصورة واضحة، نجد فيها شخصية عبد المنعم تمثل جماعة الإخوان المسلمين. وتبدو من خلاله إيديولوجية وفلسفة جماعة الإخوان، فنجد في الرواية: "لكل قوي إيمانه، إنهم يؤمنون بالوطن والمصلحة، أما الإيمان بالله فهو فوق كل شيء وأحرى بالمؤمنين بالله أن يكونوا أقوى من المؤمنين بالحياة الدنيا، فبايدنا نحن المسلمين ذخيرة مدفونة يجب أن نستخرجها، يجب أن يبعث الإسلام كما بعث أول مرة، هذا هو شعارنا العودة إلى القرآن".^٢

^١ سليمان الشطي، الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ، الهيئة المصرية

للكتاب، الطبعة الأولى، عام ١٩٧٦، ص ٦٨

^٢ نجيب محفوظ، السكرية، مكتبة مصر - القاهرة، الطبعة ١١، عام

١٩٨٤، ص ٨٣ - ٨٥

^٢ نجيب محفوظ، السكرية، ص ٢٦١

^٤ نجيب محفوظ، السكرية، ص ١٠٧

^٥ نجيب محفوظ، السكرية، ص ١٥٢

فهم الإسلام كما خلقه الله دينا ودنيا وشريعة ونظام حكم".^٤

أما طريقة عمل هذه الإيديولوجية فتظهر على لسان عبد المنعم: "ولكننا لا نرجم، وإنما بالموعظة الحسنة، والمثال الطيب نهدي ونرشد، وآية ذلك أن بيتنا يضم أبا مما يستحقون الرجم، وها هو يمرح أمامكم، ويتناول على خالقه سبحانه".^٥ ولم تكتف هذه الدعوة بتربية الناس وإرشادهم وتطبيق حكم الله، وإنما تتعداه للعمل بحقل السياسة، فهو ميدان واسع للعمل، كما في الرواية: "الدين هو العقيدة والشريعة والسياسة، إن الله أرحم من أن يترك أخطر الأمور الإنسانية دون تشريع وتوجيه".^٦

وإذا كان عبد المنعم قد تلقى علومه ومبادئه وأفكاره من الشيخ المنوفي شيخ جماعة الإخوان وراح يتردد على مجلسه ليتلقى من فكر ومنابع الدعوة الدينية الجديدة، فإن شقيقه أحمد قد وجد مآله في مجلة الإنسان الجديد تحت وصاية رئيسها عدلي كريم وتلميذته سوسن حماد، فيتلقى ويناقش فكره ومبادئه. وإن كان الشيخ المنوفي صوت الدعوة الدينية، فمجلة الإنسان الجديد هي منبر الدفاع عن الفكر اليساري الشيوعي، فانضم إليها أحمد وهو في المرحلة الثانوية وتربى على يديها من بعيد وقرأ مقالاتها

المسلمين يبرز الكاتب فلسفتها في الرواية خلال عرض أحد أعضائها: "الإنجليز والفرنسيون والألمان والاطليان جل اعتمادهم على الحضارة المادية، أما أنتم فاعتمادكم على الإيمان الصادق. إن الإيمان يفلّ الحديد، الإيمان أقوى قوة في العالم، املاؤا قلوبكم بالطاهرة بالإيمان، تخلص الدنيا لكم".^١ ثم يبرز ويبين أهمية الإيمان كمرتكز إيديولوجي أساسي في دعوة الإخوان: "الإيمان خالق القوة وباعثها، إن القنابل تصنعها أيد كأيدنا، وهي ثمرة القلوب قبل أن تكون من مسبباتها، كيف انتصر النبي - عليه السلام - على أهل الجزيرة...؟".^٢

ونرى المنوفي شيخ الإخوان في الرواية يحلل العقدة ويوضح أن سبب انتصار الإنجليز هو عدم فقدهم لعنصر الإيمان فيقول: "لكل قوي إيمانه، إنهم يؤمنون بالوطن والمصلحة، أما الإيمان بالله فهو فوق كل شيء وأحرى بالمؤمنين بالله أن يكونوا أقوى من المؤمنين بالحياة الدنيا، فبأيدينا نحن المسلمين ذخيرة مدفونة يجب أن نستخرجها، يجب أن يبعث الإسلام كما بعث أول مرة، هذا هو شعارنا العودة إلى القرآن".^٣ ويستمر قوله بإيضاح الفكر وأصحابه: "لسنا جمعية للتعليم والتهديب فحسب، ولكننا نحاول

^٤ نجيب محفوظ، السكرية، ص ١٣١

^٥ نجيب محفوظ، السكرية، ص ١٣٢

^٦ نجيب محفوظ، السكرية، ص ٨٤

^١ نجيب محفوظ، السكرية، ص ٨٣

^٢ نجيب محفوظ، السكرية، ص ٨٣

^٣ نجيب محفوظ، السكرية، ص ٨٣ - ٨٥

الإسلام في ثوب عصري، وهم حيال البسطاء يتحدثون عن الجنة والنار".^٣

ونجد الشيوعية فيها تعتمد العلم أساسا للحياة على حساب الدين والعقيدة، ويتضح هذا بقول رياض قلدس الفيلسوف الشيوعي في الرواية: "الدين ملك الناس أما الله فلا علم لنا به.. نعم الإيمان بالعلم به وجاهته.. العلم لغة العقول.. العلم يجمع البشر في نور أفكاره".^٤ وفي موضع آخر يتضح الصراع جليا على لسانه: "الشيوعية علم، أما الدين فأسطورة".^٥

ونرى أحمد في رواية السكرية الجزء الختامي للثلاثية يؤيد فلسفة رياض قلدس فيتابعه ويوضح فلسفته وإيمانه بالشيوعية والعلم حيث يقول: "لا أؤمن بالأديان.. بإيماني الخالص، إيماني بالعلم والإنسانية والغد وبما التزمه من واجبات".^٦ ونراه يرغب في ذلك القدر من المعرفة والأفكار التي تساند النظم المختلفة في المجتمع السياسي الذي يحاول أن يصل إلى نوع من اتفاق الرأي حول القيم السياسية عن طريق وضع معايير معينة للعملية السياسية.^٧

وتظهر في الثلاثية أيضا أن الماركسية أصحابها أقل عددا من أنصار حركة الإخوان المسلمين

حيث تربى على يد عدلي كريم الذي ربطته به علاقة قوية استطاع من خلالها أن يبث أفكاره إلى أحمد.

ومعطيات هذا الفكر تبرزها الثلاثية عبر الحوار الذي يجري بين عدلي كريم وبين أحمد بعد أن يسأله أحمد عن انتماء الشباب السياسي ليتضح موقف اليساريين من الأحزاب المصرية بجلاء مصر الفتاة، ففي الرواية: "لا وزن لها، فرقة تعد على الأصابع، كان الحزب الوطني حزبا تركيا دينيا رجعيا، أما الوفد فهو مبلور القومية المصرية ومطهرها من الشوائب والخبائث، إنه مدرسة الوطنية والديمقراطية. أما مصر الفتاة فحركة فاشستية رجعية مجرمة، ليست دون الرجعية الدينية خطرا، وهي ليست إلا صدى للعسكرية الألمانية والإيطالية".^٨

ويظهر تبرؤ الشيوعية من الدين ومن كل عقيدة مما يجري من الحوار بين أحمد وأخيه عبد المنعم، يقول أحمد بهدوء: "أعرف أنه دين، وحسي ذلك، لا أؤمن بالأديان".^٩ وتبدو نظرية الشيوعية لفكر الإخوان والدين من قول أحمد هذا: "تعاليم الإسلام تستند إلى ميتافيزيقية أسطورية تلعب فيها الملائكة دورا خطيرا، لا ينبغي أن نبحث عن حلول مشكلاتنا حاضرا في الماضي البعيد. الإخوان يصطنعون عملية تزيف هائلة، فهم حيال المثقفين يقدمون

^٣ نجيب محفوظ، السكرية، ص ٢٦١

^٤ نجيب محفوظ، السكرية، ص ١٠٧

^٥ نجيب محفوظ، السكرية، ص ١٥٢

^٦ نجيب محفوظ، السكرية، ص ١٣٥

^٧ عبد الرحمن خليفة، إيديولوجية الصراع السياسي، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٨، ص ١٤٧

^٨ نجيب محفوظ، السكرية، ص ٩٠

^٩ نجيب محفوظ، السكرية، ص ١٣٥

التي احتلت موقعا كبيرا بين جماهير الطبقات المصرية، ولكن لما منعت الحركة من أن تمارس دورها السياسي بعد الحرب العالمية الثانية ازدادت التبعية للقوى الاشتراكية. وكل هذه العوامل فتحت الباب على مصراعيه لانضمام كثير من أتباع هذه الحركة.

انعكاس العلاقة بين جماعة الإخوان والشيوعية:

أما العلاقة بين حركة الإخوان المسلمين والشيوعية فتظهر في هذه الثلاثية من وجهتين: الأولى نظرية الإخوان تجاه الشيوعية ونظرية الشيوعية تجاه الإخوان المسلمين.

(أ) نظرية الإخوان للشيوعية: أما نظريتهم للشيوعية فهي قائمة على التسامح والموعظة الحسنة والمثال الطيب، ويظهر هذا في خطاب عبد المنعم حيث يقول: "إن الشباب يتهددهم زيف في العقيدة، وانحلال في الخلق، وليس الرجم بأشد ما يستحقونه، ولكننا لا نرجم، وإنما بالموعظة الحسنة والمثال الطيب نهدي ونرشد. وآية ذلك أن بيتنا يضم أبا مما يستحقون الرجم وها هو يمرح أمامكم ويتناول على خالقه سبحانه!"^١

(ب) نظرية الشيوعية للإخوان: أما الشيوعيون فينظرون للإخوان أنهم الخطر المطبق الحاملون لتعاليم الإسلام المنبثقة من عالم الميتافيزيقيا

الأسطورية التي تلعب الملائكة فيها دورا كبيرا، وهم الذين يصنعون عملية تزييف هائلة.^٢ ويتبين ذلك مما قالت سوسن حماد تلميذة عدلي كريم: "أعداؤنا كثيرون، الألمان في الخارج، والإخوان والرجعية في الداخل، وكلاهما شيء واحد".^٣

وهذا من المؤكد أن لكل حزب وفكر سياسي طريقة خاصة، يبرز من خلالها برنامجه ليتدخل بفاعلية في السعي على الحكم وقيادة الناس. ومن خلال استقراء ما قالت سوسن تتضح صورة أخرى في التعامل الإيديولوجي لدى الشيوعية، فعندما تواجه حزبا عاملا آخر تلجأ مباشرة إلى ترتيبه حسب درجة التناقض والتقارب بينها وبينه، وعندما تحدد موقفها بأنه الخصم الرئيس تعطيه محل الصدارة في حقل المواجهة، وتبادر إلى الاهتمام الخاص به. وهكذا يحدث ترتيب محدد للأخريين حول الحزب الساعي إلى السلطة السياسية، وينعكس هذا الترتيب في الصور التي ينتجها عنهم. ويستمر الصراع بين الفكرين.

وتنعكس الشيوعية في الثلاثية قليلة العدد، تعمل بسرية تامة، وتوزع المنشورات ليلا، ولا تجمعهم رابطة قوية كالإخوان.^٤ وهدفهم الأهم

^١ نجيب محفوظ، السكرية، ص ٢٦١ - ٢٦٦

^٢ نجيب محفوظ، السكرية، ص ٢٦٩

^٣ شفيق السيد، اتجاهات الرواية المصرية، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٩٧٨، ص ١١٣

^٤ نجيب محفوظ، السكرية، ص ١٣٢

المحسنون، ولكنه تمسك بها لأنه فيما يقول رأى الحسين في منامه وهو يباركه فبث فيها خيرا لا يبلى، وكان إلى كراماته في قراءة الغيب والدعوات الشافية وعمل الأحجبة معروفا بالصراحة والظرف".^٢ فالشيخ متولي نراه يتخذ من الدين حرفة ينصح الناس ويعظمهم ثم ينال الأجر من السكر والنياب وفاء له.

ثم يقدم الروائي نموذجا آخر متعلقا بأتباع الدين، وهو النمط الثاني يتمثل في تمسك أمينة بالدين وحبها له، فهو جزء لا ينفصل عنها. ونجدها تؤمن إيمانا مطلقا يعتره الاعتقاد بالموروثات والتقاليد الفاسدة، فنراها تخاطب معاشر الجن قائلة: "ابعد عنا، ليس هذا مقامك، نحن قوم مسلمون موحدون.. ألا تحترم عباد الرحمن! الله بيننا وبينك فاذهب عنا مكرما".^٤ ولا يعدو إيمانها أن يتجاوز تلك الفطرة العامة التي ورثتها من أب شيخ من شيوخ الأزهر دون أي إلمام بعلم أو معرفة، فنراها تدعو ربها قائلة: "اللهم أسألك الرعاية لسيدي وأبنائي وأمي وياسين والناس جميعا مسلمين ونصارى حتى الإنجليز يا ربي وأن تخرجهم من ديارنا إكراما لفهبي الذي لا يحيمهم".^٥

وينعكس في الثلاثية نموذج حي آخر لأتباع الدين وهو النمط الثالث، يتمثل في شخصية عبد

والأعلى هو بيان أهمية التاريخ وإنقاذ الطبقة الكادحة، والهدف الأساس لهم محاربة روح القناعة والخمول والاستسلام، وأما الدين فلن يتأتى القضاء عليه إلا في ظل الحكم الحر.^١ تصوير وانعكاس أتباع الدين في الثلاثية:

انعكست وبرزت صور أتباع الدين في الثلاثية عبر ثلاثة أنماط. ويتمثل النمط الأول منها في شخصية الشيخ متولي عبد الصمد، الذي يعتمد محبة الناس له وتقربه منهم وقبوله المساعدات المالية والعينية التي تقدم له، كما ورد في رواية بين القصرين الجزء البدائي للثلاثية: "مال الشيخ إلى الورا.. يا لك من رجل شهيم جميل المروءة يا أحمد يا ابن عبد الجواد.. فأشار السيد إلى جميل الحمزاوي ليأتي بهدية الشيخ.. فتناولها الشيخ وهو يقول: رزقك الله رزقا واسعا وغفر لك".^٢ أما أفكاره فلا تعدو أن تكون بعضا من التعاويد والصور القصيرة وبعض المعلومات الممزوجة بالصحة والخرافات تارة، والأفكار العامية تارة أخرى، كما ورد في نفس الرواية: "اندفع الشيخ إلى المكتب وهو يتمتم الحمد لله رب العالمين، ثم رفع طرف عبائته ومسح بها على وجهه وجلس على الكرسي.. وكان يتلفع بعباءة بالية ناصلة وإن أمكنه أن يستبدل بها خيرا منها بما يجود به

^٢ نجيب محفوظ، بين القصرين، ص ٣٨

^٤ نجيب محفوظ، بين القصرين، ص ٨

^٥ نجيب محفوظ، بين القصرين، ص ٣٧

^١ نجيب محفوظ، السكرية، ص ٢٩٦

^٢ نجيب محفوظ، بين القصرين، مكتبة مصر، القاهرة، ط ١٢، عام ١٩٨٣، ص ٤٥

المشرق في النموذج الأخير الممثل بشخصية عبد المنعم الذي يتصدى للتغيير وحل مشكلات الحياة ليظهر بشكل إيجابي مندفعاً للعمل والاندماج بالمجتمع.

وتميزت أيضاً بعرضها جانباً كبيراً من الحرية في العقيدة والإيمان بالفكر، فتمتعت بتوفير جميع عناصر الحرية من خلال إيجاد مناخ مناسب من حرية الاختيار والقول والفعل والتعبير عن الأفكار بالطريقة والوقت الذي يشاء. وأبرز ما يميزها هو القدرة الواسعة على بسط أفكار كلا الفكرين أمام القارئ دون أدنى تدخل.

المنعم المنتمي إلى فكر جماعة الإخوان المسلمين، الذي يظهر في الرواية شيخاً يتصدى لحل مشكلات الحياة ويعني بتقديم برامج للتغيير في الحياة، فهو ينظر إلى الدين نظرة شمولية بأنه برنامج حياة شاملاً فهو ليس جمعية للتعليم والتهذيب فحسب، ولكنه كما خلقه الله ديناً ودنياً وشريعة ونظام حكم^١. فصورة فهمه للدين تنطلق من تعامله معه كحضارة وثقافة وتراث وكتعبير عن الهوية وكمصدر أساسي لفكر يريده أن يكون قادراً اليوم وفي المستقبل على حل مشكلات بلاده ومشكلات العالم من موقع الاندماج في العصر. وعبر استقراء آرائه تظهر مزايا الدين المادية، فهو يشمل جميع نواحي الحياة بمرافقها العامة مع ما يكتنزه من ميزات روحية وتعاليم شاملة لأمر الناس والحياة.

الخاتمة:

لقد تميزت نظرية الرؤية الإيديولوجية وانعكاس الصراع الإيديولوجي في ثلاثية القاهرة بالشمولية حيث صورت أتباع الدين بأنماطهم البشرية الواقعية، فظهرت صورة الشيخ متولي عبد الصمد الذي يتخذ من الدين حرفة ينصح الناس ويعظم لينال الأجر. ثم قدمت لنا النموذج الآخر ممثلاً بالسيدة أمينة التي امتزج إيمانها وحبها للدين ببعض الموروثات والتقاليد الفاسدة. ولم تغفل الثلاثية تصوير الجانب

^١ نجيب محفوظ، السكرية، ص ١٣١

Kalikoot

Quarterly Arabic Journal

Vol.12 Issue 3, September - December 2022



The Department of Arabic
University of Calicut

Kaalikoot



11201022